ثقافة الأسرة

البيت وحدة اجتماعية يجتمع فيه الأبوان والأولاد ينشدون مصلحة مشتركة هى السعادة للجميع . والسعادة والبيت انما يتوسل إليهما بنمو الأجسام للصغار ونمو الأذهان للكبار ونمو الثروة والثقافة والحضارة .

وسنة الحياة هى النمو ، وهى أيضا سنة الرقى ، فاذا ركد الفرد وكف عن أن ينمو فى جسمه أو ذهنه أو بيئته فانه يفقد لذة العيش ويتولاه السأم الذى قد يؤول به إلى شر المآل ، والنمو يحتاج إلى الطموح و إلى أن يشعر الطامح أنه يحقق تقدما متواصلا إذا هو دأب فى العمل ونصب لنفسه غاية شريفة ينبغى تحقيقها ، وهذه الغاية تبقى أمامه كالمنارة يسترشد بها أو الميزان الذى يمنعه عن الانحراف .

وفى الأمة والمجتمع بواعث كثيرة تعمل للرقى عن طريق المنافسة ، ولكن البيت يحث على الرقى بالمشاركة ، فالزوج الذى يطلب من زوجته أن تكون زميلة يأتنس بحديثها ويشترك وإياها فى الأمانى والغايات يجب أن يهتم لرقيها كما يهتم لرقى نفسه ، إذ أن تخلفها عنه فى الميدان الثقافى يجعلها غريبة عنه لا تشاركه الحديث إلا فى التافه والنافل ، فيرى نفسه منفردا فى البيت يجتر أفكاره ويقرأ جريدته أو كتابه وهو وحيد كأنه ناسك فى صومعة لا يحاور ولا يناقش ولا يفيض فى حديث ، وهذه حال تقرب من الانفصال الروحى ، ويتحول الزواج بعدها معاشرة باردة لا مزاملة حارة .

والبيت مؤسسة اجتماعية أعضاؤها الزوجان والأولاد ، والشعار لجميع المؤسسات هو الرقى والتجدد ، وذلك بأن ينمو جميعهم فى مختلف أنواع النمو ، فهذا أثاث نستبدل به ما هو أبهى وأنفع ، وهذه صورة جديدة نشتريها لكى نزين إحدى الغرف ، وهذا عيد قد وافى فملأ البيت بهجة بالأزياء الزاهية الجديدة ، وهذه حديقة بشرفة المنزل أو بأسكفة النافذة ، وهذا كتاب جديد أو مجلة جديدة ، وكل هذا التجدد لا يحتاج إلى الذهن السليم فقط بل أيضا إلى الذهن المثقف الذى يستطيع الاختيار والتمييز ، ومن هنا ضرورة الثقافة بأنواعها المختلفة .

والبيت العصرى يجب أن يسير مع الزمن و يشترك فى حركاته ، والحديث الذى نستمع اليه فى الراديو فون أو القصة التى نراها فى الدار السينمائية أو الدرامة التى نشاهدها على المسرح بل الجريدة أو المجلة التى نقرأها ، كل هذه تحتاج إلى مقدار من الثقافة التى تتيح لنا التفهم والتقدير والمناقشة النيرة ، بل كذلك الحال حتى عند ما نستمع إلى أغنية أو دور موسيقى .

واذا اعترض أحد على هذا بأن البيت ليس مدرسة أو جامعة فإننا نرد على هذا الاعتراض بأن البيت ليس أيضا فندقا أو مطعما فقط . والسأم الذى يستولى على أعضاء المنزل لقلة البواعث التى تشركهم فى اهتمام معين أو قصد يراد تحقيقه كثيرا ما يشتتهم فيبعث الأب على أن ينشد سلواه فى القهوة أو الحانة أو يبعث ربة البيت على الزيارات العقيمة أو اصطحاب من تؤثر مفارقتهن . بل كذلك الحال فى الصبيان الذين لا يطيقون كظم ما عندهم من حيوية فينبعثون الى النشاط المؤذى فى البيت أو الشارع .

والنمو الثقافى فى المنزل يقتضى منا نظاما يختلف عن النظام الذى تطلبه المدرسة أو الجامعة . لأن هاتين تدربانا على العمل والتكسب . ولكن الثقافة المنزلية يجب أن تكون غايتها قبل كل شىء ملء الفراغ . هذا الفراغ الذى يثقل أحيانا على ربة البيت عندنا فتزجيه بأكل اللب أو غير ذلك مما يدل على سأم النفس . ووسائل الثقافة المنزلية هى الجريدة والمجلة والكتاب والراديو فون والسينماتوغراف والمسرح . ثم هناك البيوت الراقية التى تستغل الضيافة للتنوير والتثقيف .

وليس بيت من البيوت العصرية يخلو من الجرائد والمجلات . وهذه يجب أن يكون اختيارها بعد العناية الكبيرة ومع اليقظة للاستبدال بها اذا وجد أن ما تنشره ليس مما يتفق والرقى الثقافى لأعضاء الأسرة . ويجب صيانة هذه الصحف حتى تدور على الأعضاء كل منهم يأخذ منها بمقدار ما يستطيع أن يهضم . فهذا الصغير يتسلى بالنظر الى الصور . وهذه الأم تريد أن تقف على الأخبار الاجتماعية . وهذا الأب يحتاج الى استئناف الموضوع الذى عالجته هذه الجريدة أو المجلة لما له من خطورة خاصة . وهنا يجب على الأب أن يناقش زوجته وأولاده لكى يثير فى نفوسهم الاهتمام حتى لا يركدوا . والحوادث الجارية أهمية فى ذاتها ولذلك يسهل إثارة الاهتمام بها اذا عمد الأب الى القليل من المناقشة فى شئونها سواء على المائدة أو غير ذلك من الأوقات . وهنا يمكن أن تقرأ نبذة من الجريدة أو المجلة لكى يفتتح بها الحديث العام بين الأعضاء .

وكذلك ليس يخلو بيت من الكتب . ورف الكتب أو خزانة الكتب هما فى الوقت الحاضر من لوازم البيت العصرى وهما يتمان الأثاث . وتجويدهما واختيار الخشب النفيس والصنعة الأنيقة لهما مما تتفاخر به الأسر المستنيرة ، المثقفة . كما أن اختيار الكتب وزيادتها هو أحد الشئون التى يجب أن يهتم لها رب البيت وأن يضع نصب عينه رقى أعضاء الأسرة جميعهم . والكتاب الحسن يجب أن يكون موضوع المناقشة ليس بين أعضاء البيت وحدهم بل بينهم و بين الزائرين حتى لا يقتصر حديث الزيارات على القيل والقال . ومما يثبطنا فى مصر عن وضع الكتاب فى موضعه الذى يقرره له الاجتماع الحديث أن الكتب تخرج من المطابع غير مجلدة فتبلى وتتفكك بسرعة . ولذلك ينبغى تجليدها قبل أن تتناولها اليد .

وإذا تركنا الصحف والكتب جانبا فاننا نجد فى الراديو فون وسيلة ثقافية عظيمة القيمة . فانه يلقى علينا أحاديث فى شتى العلوم والفنون . وعلى الرغم من حملات النقد التى توجه الى المذياع فانه مما لاشك فيه أنه يمزج اللهو بالجد ، وكثيرا ما يطالعنا بالطلى المفيد من هذه الأحاديث . ولابد أن الأغانى سترتقى مع الزمن وتعود ايحاء للنشاط والهمة ، ولهذا السبب يجب ألا يخلو بيت من الراديو فون فى العصر الحاضر . فانه لهو وجد وسلوى وفائدة وهو ما يزجى أوقات الفراغ و يرد السأم . ولكن أقل من هذا يقال عن السينماتوغراف . فانه لا يزال تجارة حرة تجرى فيه المزاحمة للكسب . وللكسب فقط . ولذلك قد استحال فى كثير من مشاهداته أساطير وقصصا للتسلية فقط . وهذه التسلية قد لا تكون بريئة فى كل الأوقات حتى احتاج كثير من الحكومات الى منع الصبيان عن غشيان الدور السينمائية العامة . ولذلك يحتاج رب البيت أو ربته إذا شاءت الرقى الثقافى من الأفلام السينمائية الى العناية فى اختيار دورها ومعروضاتها . وعندنا أنه لم تعرف قط وسيلة ثقافية تساوى أو تقارب السينماتوغراف ولكنه ينساق فى تيار التجارة الحرة ولا يبغى القائمون بشأنه غير الكسب . ومن هنا انحطاطه . بل من هنا أيضا انحطاط المسرح . و إن كانت الحكومة قد أخذت بيده ونجحت الى حد بعيد فى ترقيته .

والثقافة الفنية فى عصرنا من الكماليات التى تشبه الضروريات . فان المنزل الذى لا يزدان بالصور الفنية يشهد على أصحابه بالتخلف . وربة البيت التى لا تقرأ النوتة الموسيقية تعد أمية تجهل أبجدية هذا الفن الجميل . وكلنا تقريبا نعانى هذه الحبسة الفنية وكانا نرجو ألا يكون هذا شأن الجيل القادم .

إن النمو الثقافي للأسرة هو أحد الأركان لسعادتها لأنه يشعر الأعضاء بالرقي المتواصل . فهم في يومهم أفضل مما كانوا في أمسهم . وسيكونون غدا أفضل مما هم اليوم . وأسبابه التي ذكرنا وهي الصحف والكتب والراديو فون والسينماتوغراف والمسرح هي في متناول معظم الأسر المتيسرة . ولكن يحسن برب البيت أن يخصها بمقدار من المال كل شهر تعين مئويته من الدخل الكلي حتى اذا فاض وتوافر جعل الى الشهور النادمة . وبذلك تكفل للأسرة حياة ثقافية لا تنقطع .

واذا اصطبغت عقلية الأسرة بهذه الصبغة الثقافية فانها حتى في طورها سيتعين لها اتجاه ثقافي . فهي حين تختار مكانا للنزهة سواء في آخر الأسبوع أو في اجازات الصيف أو الشتاء ستتجه في اختيارها نحو الفائدة من اللهو والرقي من التسلية . وينشأ الأطفال وهم على هذا الاتجاه كل منهم يحاول التكمل بدرس علم أو فن . ويعود البيت وهو منارة للصلاح والاصلاح .